فلسطين قبر الصهيونية

بقلم الاستاذ احمد صندوق

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وانّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . . ﴾ صدق الله العظيم

من لدن عزيز حكيم . . . ومثل من امثاله البالغة **حكمة** التي يضربها للناس . وما يعقلها الا العالمون وكم في كتابه من حكم وامثال ، لو تدبرناها ووعيناها .. وكم في كتب اجدادنا من روائع الحكم ورغائب الامثال . اذا تتبعناها ثبت لدينا انه لم يترك الاول للآخر شيئاً لا كما يقول ابو عثمان الجاحظ كبير ادباء القرن الثالث ونابغة متكلميه بل نميل الى تصويب رأي الشاعر الجاهلي القائل : هل غادر الشعراء من متردم . واذا كنت في شك مما اقرر فاليك المثل التالي : (وقف غراب بأعلى شجرة في مرعى يضم قطيعا من الاغنام . واذا بصوت عظيم تفرقت الاغنام فرقا منه فالتفت الغراب فرأى نسرا ينقض من الجو وينشب مخالبه في حمل ويعود به من حيث أتى . اعجب الغراب ببطولة النسر واراد محاكاته فحوم فوق القطيع ناعبا ولكن القطيع لم يلتفت اليه فاهوى على كبش متلبد الصوف وحاول التحليق به الى الجو كما فعل النسر . ولكنه لم يستطع ذلك وعلقت مخالبه في صوف الكبش حتى لم يمكنه التخلص فاخذ يرفرف بجناحيه كالمستغيث وحينئذ بصربه الرعاة وربطوه بخيط ووهبوه لبعض الصبيان . فاخذ يعبث به ويرسل الخيط ويقبضه حتى نتف ريشه وحطم جناحيه وكسر رجليه واخيرا ضرب به الارض فمات شر ميتة .)

فانظر بربك الى هذا المثل العربي ثم قارن بين ذاك الغراب الأبقع وهذا اليهودي الصهيوني ألست ترى تشابهاً تاما وانطباقا كلياً بينهما ؟

رأى الغراب النسر وهو ملك الجو غير مدافع يصول على القطيع فيفزعه ثم يقنع بما تستطيع يداه حمله فتعجبه منه هذه الصولة . ولكنه لا يلبث ان يستصغر همته ناعتا اياه بالبله لأنه لم يفز بكبش سمين فيسول له غروره وهو الذي يعيش على القاذورات والجيف ويبيت اكثر ايامه طاويا اذا لم يتسن له سرقة قطعة جبنة او اختلاس كسرة خبز او مساورة فارة أو غيرها من حشرات الارض الضعيفة . يسول له صلفه وحمقه ان يفوز بغنيمة لم تدر بخلد (ملك الجو) فضلا عن ان يطمح ببصره اليها . وهذا اليهودي الصهيوني يرى تلك الذئاب الضارية من دول الغرب تنشب مخالبها في اعناق الاقطار الشرقية فتفتك بالهند والصين واليابان وغيرها وغيرها . ثم تتآمر على املاك الدولة التي اسموها « الرجل المريض » فتسلبها بلاد البلقان ثم تحتل تونس والجزائر ومراكش وليبيا ومصر والسودان ثم تتبعها بسوريا ولبنان وفلسطين والعراق وتمتد اصابعها الى نجد واليمن والحجاز ثم تعطف على ايثوبيا والبانيا ثم تلتفت يمينا وشمالا فلا تجد ما تبتلعه لقد تم لها الاستيلاء على انحاء المعمورة واذا تم امر بدا نقصه . تتلفت كل منها فلا تجد فريسة جديدة تسد نهمها فتفكر في حصة شريكتها وهكذا فالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

ومن هنا بدأت ريحها بالركود . ولما كان للظالم صدر يشتكي بدون علة او وصب فقد كانت هذه الحربات المغصوبة رهنا بخراب ممالك اولئك المجرمين السفاكين . وما عتمت ان اصبحت بايديهم قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحقت عليهم كلمة العذاب وصدق فيهم قول الشاعر :

اشرب بكاس كنت تسقي بها امرّ في الطعم من العلقم
زعمت ان الدين لا يقتضي فاستوف بالكيل ايا مجرم .

ولكن نعوذ بالله من طغيان القلم فلسنا في موقف نبش الاحقاد والتشفي . والقوم قد ثابوا الى رشدهم وتابوا توبة نصوحا لا كتوبة الثعلب الناسك وتركوا للامم حريتها واسسوا « هيئة » ومجلساً للمحافظة والعدالة والسلم العالمي فلنغفر لهم ما اقترفوه ولنسدل على تلك المآسي حجاب النسيان ولندع لهم بالتوفيق وخلوص النوايا .

ولنعد الى اتمام بحثنا . رأى هذا اليهودي الصهيوني تلك الاسود الكاسرة تتحكم في الفرائس ثم تتخلى عنها راضية او مكرهة تخلياً ابديا او الى حين . فسولت له نفسه الأمارة بالسوء وزين له صلفه وغروره وحمقه وهو الذي كان يحيا حياة دون حياة الغراب .. حياة كلها ذل وهوان . حياة كلها شقاء وألم . كان يذبح اني وجد . ويداس اني سكن . لا لشيء

سوى ما فطرت عليه نفسه الشريرة من خسة ودناءة ولؤم ومكر وغش وحقد . وكره شديد لعامة الشعوب واشعال نار العداوة والبغضاء في كافة الامم . والحرص على جمع الاموال بجميع الوسائل الشائنة كالربا والفجور وما الى ذلك (لأن الغاية تبرر الواسطة في زعمه) .. لهذه الاخلاق السافلة وحدها المتأصلة في نفسه والجارية فيها مجرى الدم في عروقه كان الكره له عاما في انحاء الدنيا . ها هي المذابح التي تعرض لها في اوربا خلال القرون الماضية تملأ صفحات التاريخ هذا الشاهد العدل الذي يثبت ما اصبح عليه العرب والاسلام في تلك العصور من أمن وعدالة وانه الحكومة الوحيدة التي فيأته ظلالها وآمنته على معتقده ونفسه وولده وماله وعرضه . ثم هاهي الحوادث في القرن العشرين وما قبله تسجل له ما لاقى في المانيا والنمسا وانجلترا وروسيا وايطاليا واسبانيا بسبب اخلاقه تلك .. بينما تسجل في كافة الدول الاسلامية من معاملتها له ومحافظتها عليه ما يدعو الى العجب .. وفي ذلك اوضح برهان على قسوة معاملة الاوربيين له ، وعلى استحقاقه لها ، وحسن معاملة المسلمين له (بدون ان يكون اهلا لها) ذلك لان العرب لا تحمل قلوب الغربيين . وقد يكون ذلك من اسباب تأخرهم في هذا العصر ودليلا على وهن عزائمهم وعدم تبصرهم في عواقب الامور . ومهما يكن من الامر فقد فكر اليهودي وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيفما قدر . فقال انتخلى بريطانيا عن انتدابها في فلسطين ومصر والعراق وفرنسا عن سوريا ولبنان .. ! يا لجنبها ويا لسخرية القدر . افلا احل محلها فابدأ بالتمكين في فلسطين ثم ابث سمومي في هذه الاقطار واشعل فيها نيران العداوة والبغضاء كما فعلت في فرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا وانكلترا وغيرها من الممالك التي جعلتها شيعا واحزابا حتى اصبحت خرابا كان لم تغن بالامس . وما قيمة هذه الامة البدوية التي مضى عليها عدة قرون استخذت فيها لفاتحين . والقت بزمامها لهم يتصرفون بها كما يشاءون وهل تحدثها نفسها ان تقف في وجهي وانا الذي تتمسح رؤساء الدول العظمى باعتابي . وتخطب ودي وتسخر قواها لتنفيذ مآربي فالاموال لمن يعبدها والوظايف لمن ينشدها والخمر لمن يقصدها والحسناء لمن يرصدها وبعد ، فالغاية تبرر الواسطة ، وكل هذه شباك امدها وحبال احيكها ثم اجمعها فالاموال حوار مردودة . وما اعرفني بطرق استردادها جرعة خمر فبسمة ثغر ، فهزة خصر ، نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء . وهناك يتم كل شيء وترتفع من ايديهم كما تتبخر المياه فتعود من حيث أتت . . ولا ضير علينا من ذلك . . أليس شاعرهم يقول :

ان النساء رياحين خلقن لنا وكلنا يشتهي شم الرياحين

ثم اليس مبدؤنا العام املكوا فلسطين باموالكم ودمائكم ونسائكم فليكن لهم ما ارادوا ليتم لنا ما اردنا ثم نفخ اليهودي بوق النفير العام فاجابته حشالات متفرقة من كل حدب وصوب مزودة باعظم ما في الارض من وسائل الاغراء التي مهروا بها وحذقوها واصبحت طابعهم الخاص . . واخذ يبني اوكاره ويمد عدته حتى اذا ما ظن انه اشرف على الغاية وشرع يسدد ضربته الاخيرة فوجيء بعالم يكن في حسبانه . فقد زال كابوس الاستعمار وتقدمت الجيوش العربية لتلقي عليه درساً (في حفظ الجميل) وتلك جيوش ليس في افرادها ولا نفوس ملوكها وامرائها خنوع للمال الخادع ولا الوظائف البراقة ولا الخمر المخدرة ولا الجمال المكذوب المصطنع . انها نفوس أبت ان تخضع الا لله ، واميرها ومأمورها بمنزلة سواء شعارها الله اكبر خمرتها التي تهيم بها دماء الاعداء . والجمال الذي تتطلبه جمال النفوس والاخلاق لا هذا الجمال الفاسق الماهر . وعلى هذا فقد توالت على اليهودي الضربات القاصمة برا وجواً وبحرا . وبدأ شخصه يتضاءل رويدا رويدا وظله يتقلص واحدوثة بطولته تتحول الى خرافة يتندر بها رجل الشارع هنا وهناك . . واخذ يستغيث ويستنجد فلم يسع عشاقه الهائمين بمآله وجماله بعد أن توعدوا وزمجروا وارعدوا وابرقوا بدون طائل الا ان يجنحوا للمخادعة ويفرضوا هدنة موقتة ريثما يتوفق مجلس الامن لحل المسألة على ضوء الحوادث الاخيرة حلا يتفق مع العدل والسلم الدولي فلننتظر ما يطالعنا به الغد . . واننا ننتظر بهذا اليهودي اللئيم الزنيم ما حل بذلك الغراب المائق حيث عاد العوبة بيد الصبي يلقى حتفه على يديه إلا أن يجمع شباكه وينجو بنفسه حاملا جرابه على عاتقه يجوب قرى العالم شاردا تائها . ضربت عليه الذل والمسكنة وباء بغضب من الله وذلك بما قدمت يداه .

احمد صندوق

دمشق